# على بساط الريح

## فوزي المعلوف



# على بساط الريح

# على بساط الريح

تأليف
فوزي المعلوف



# على بساط الريح

فوزي المعلوف

رقم إيداع ٢٠١٣/٩٨٤٠
تدمك: ٨ ٣٠٧ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢


٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
**تليفون:** ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** http://www.hindawi.org

---

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي.

# المحتويات

# مَلِكٌ فِي الهواء

في عُباب[1] الفضاءِ فوق غيومِهْ
فـــــوق نَـــــســـــرِهْ
ونـــــجــــمــــتِــــهْ

* * *

حيث بثَّ الهوى بثغرِ نسيمِهْ
كــــلَّ عـــــطــــرِهْ
ورقَّـــــــتِــــــهْ

* * *

موطنُ الشاعرِ المحلِّقِ — منذ
البدءِ — لكنْ بروحِه لا بجسمِهْ

أَنـزلـتْـه فـيـه عـروسُ قـوافـيـهِ
بـعـيـدًا عـن الـوجـود وظـلـمِـهْ

مـلِـكٌ قـبَّـة الـسـمـاء لـه قـصـرٌ
وقـلـبُ الأَثـيـرِ[2] مـسـرحُ حُـكمِـهْ

---

[1] عباب الفضاء: بمعنى بعده السحيق وعمقه.

[2] الأثير: بمعنى الفلك الأعلى.

ضاربٌ في الفضاءِ موكبُهُ النورُ
وأَتـبـاعُـهُ عـرائـسُ حُـلـمِـهْ

ملـكُهُ ركنُهُ الـهواءُ وما أقواه
ركـنًـا قـامَ الـخـلـودُ بـدعـمِـهْ

عرشُهُ سُدَّةُ[٣] السحابِ عليها
نفضَ اللَّيلُ كلَّ رهبةِ رَسمِهْ

تاجهُ هالةٌ ينضِدُ[٤] في فضَّتها
الأفـقُ بـدرَهُ قـربَ نـجـمِـهْ

والدجى طيلَسانُهُ[٥] فاحَ كافورُ
دراريـه[٦] فـوق عـنبرِ فَـحـمِـهْ

والـثُّريَّا فـي كفِّهِ صولجانٌ
دُرُّهُ لـمَّـهُ الـصـبـاحُ بـكُـمِّـهْ

مَلِكٌ طائرٌ بغيرِ جَناحينِ
بأمرِ الخيالِ يَقضي وباسْمِهْ

يا جَناحَ الخيالِ أَقوى جَناحٍ
أنتَ يُلوى ظهرُ الرياحِ لصَدمِهْ

ليت شعري ما الشاعر ابنٌ لهذي
الأرضِ إلّا بلحمِهِ وبعظمِهْ

فـإذا اخـتـارَ هَـجْرَهـا بـرضـاهُ
أفـمـا جـاءَهـا مَـقـودًا بـرُغـمِـهْ

هو منها وليس منها فما زالَ
غـريـبًـا مـا بـيـن أبـنـاءِ أُمِّـهْ

[٣] السدة: المركز المميز في صدر المكان.

[٤] ينضد: يرتب ترتيبًا مقتنًا. يقصد أنه متوج بالقبة الفضية التي تم فيها ترتيب الكواكب.

[٥] الطيلسان: العباءة الفضفاضة الخضراء.

[٦] الدراري: النجوم؛ ومعنى البيت أنه يرتدي كسوة خضراء مضمخة بالطيب الذي يخفف وطء سواد الليل.

# روح الشَّاعر

أَيُّ روحٍ في بُردةِ الشعراءْ
رفعتهُمْ
على الهواءْ

* * *

أبعدتهُم عن عالمِ الأحياءْ
قرّبتهُم
منَ السماءْ

* * *

أنتِ يا روحَهم مِنْ تَنَوُّرِ ذرَّاتٍ
أَضاءَتْ في الكونِ في عالمَيْهِ

تَصِلُ الأرضَ والسماءَ بنهرٍ
غَمَر الحسنُ والهوى ضَفَّتَيْهِ

لستِ من عالمِ الترابِ وإن كنتِ
تقمَّصتِ بالترابِ عليهِ

أَنتِ من عالمٍ بعيدٍ عنِ الأَرضِ
يَفيضُ الجلالُ عن جانبَيهِ

نسمةُ الشعرِ أَنتِ، فيهِ تَبُثّينَ

أريـجَ الـشـعـورِ فـي بُـردتَـيـهِ

هو فردوسُكِ السحيقُ فلا الإِثْمُ
ولا الـشـرُّ يـبـلُـغـانِ إِلـيـهِ

وفتى الشعرِ يَستنزِلُ الوحيَ
بيانًا يجثو الخلوُد لدَيهِ

حافرًا باللظى على مِصْحفِ
الأُفقِ سُطورًا تُنيرُ في دَفَّتيهِ

ما احمرارُ الأَصيلِ غيرَ لهيبٍ
شعَّ من قلبِهِ على مُقلتَيهِ

ورُكامُ السَحابِ غيرَ دخانٍ
نفثَتْهُ الهمومُ من شفتَيهِ

ما أنينُ الرياحِ غيرَ زفيرٍ
نزعتهُ الرياحُ من رئَتَيهِ

ونُواحُ الطيورِ غيرَ عويلٍ
نقلَتهُ الطيورُ عن أصغرَيهِ

ما ندى الفجرِ غيرَ لؤْلؤِ دمعٍ
رشفتهُ الأزهارُ من مِحجرَيهِ

وبريقُ النجوم غيرَ شظايا
كأسِ حبٍّ تحطَّمَتْ في يدَيهِ

# العبد

بينَ روحي، وبين جسمي الأَسير
كـــــانَ بُــــعـــــدٌ
ذقـــــــتُ مُـــــــرَّهْ!

* * *

أنا في الأرضِ، وهي فوق الأَثيرْ
أنـــــا عـــــبــــدٌ
وهـــــيَ حُـــــرَّهْ!

* * *

أنا عبدُ الحياةِ والموتِ، أَمشي
مُكرهًا من مُهودِها لقبورِهْ!

عبدُ ما ضمَّتِ الشرائُعِ من جَوْرٍ
يخُطُّ القويُّ كلَّ سطورِهْ

بيَراعٍ دمُ الضعيفِ لهُ حِبْرٌ
ونَوْحُ المظلومِ صوتُ صَريرِهْ!

أنا عبدُ القضاءِ، تملأُ نفسي
رهبةٌ من بشيرِهِ ونذيرِهْ!

عبدُ عصرٍ من التَمدُّنِ، نَلهو

ضِـلَّـةً عـن لُـبـابِـه بـقـشـورِهْ!

عبدُ مالي، أَحظى به بعدَ جُهْدٍ
فـإذا بـي أَنـوءُ مـن ثِقْـلِ نـيـرِهْ!

عبدُ إسمي، ذَوَّبتُ روحي وجسمي
طـمـعًـا فـي خـلـودِهِ ونـشـورِهْ!

عبدُ حبِّي، أَنزلتُه في فؤادي
فكوى أَضلعي بنارِ سعيرِهْ!

أنا في قَبضةِ العبوديةِ العَمياءِ
أَعـمـى مـسـيَّـرٌ بـغـرورِهْ!

إنَّ جسمي عبدٌ لعقلي، وعقلي
عبدُ قلبي، والقلبُ عبدُ شعورِهْ

وشعوري عبدٌ لحسي، وحسي
هو عبدُ الجمالِ، يحيا بنورِهْ!

كلُّ ما بي في الكونِ أَعمًى ومُنقادٌ
عـلـى رُغـمـهِ لأعـمـى نَـظـيـرِهْ

غيرَ روحي فالشعرُ فكَّ جَناحَيْها
فطارتْ في الجوِّ فوق نسورِهْ

تَنتَحي عالمَ الخلودِ، لتحيا
حرَّةً، بين روضِهِ وغديرِهْ! ...

# حُلمٌ فحقيقة

يا طيورَ السماءِ في الريحِ روحي
بـــــــيَ جـــــــريًّـــــــا
عـــلـــى الـــجَـــلَـــدْ[1]

* * *

وبِجسمي طيري إلى حيثُ روحي
فـــيـــهِ تـــحـــيـــا
بـــلا جَـــــسَـــــدْ!

* * *

هوَ حلمٌ مَجنِّحٌ، رافقَ الشاعرَ
يَطوي الأَجيالَ جيلًا فجيلا

خلعَتْ يقظةُ العقولِ جَناحَينِ
عليهِ يُحيِّرانِ العقولا

ما هُما من خرافةٍ وخيالٍ
بل هما من حقيقةٍ وهَيولى

---

[1] الجلد: بمعنى السماء أو القبة الزرقاء.

صَعِّدِ الطَرْفَ في الأَثيرِ تُجِدْني
قاطعًا في الأَثيرِ ميلًا فميلا

خببًا[٢] تارةً، وطورًا وَئيدًا
صُعدًا مرَّةً، وأخرى نُزولَا

فوق طيَّارةٍ على صهواتِ الريحِ
قامتْ تروِّضُ المستحيلا

هُوَ ذا طائرُ الجمادِ كأَنَّ
الجنَّ في صدرِهِ تحثُّ خُيولا

حَمْحَمَتْ تضرِبُ الرياحَ بنعلَيْها
فشقَّتْ إلى السماءِ سبيلا

ثمَّ مدَّتْ إلى النجومِ جَناحينِ
وجرَّتْ على السَّحابِ ذيولا

غَرِقَتْ فِي الْأَصِيلِ حينًا، وعامتْ
بعد حينٍ تعلو قليلًا قليلا

تَرتدي من دُخانِها بُردةَ اللَّيْلِ
وتُلقي عن مَنْكِبيها الأَصيلا

وعليها من الشرارِ نجومٌ
عَقَدَتْ حولَ رأْسِها إكليلا

حلِّقي، حلِّقي، والْقِي على الأَفلاكِ
رُعبًا ورَوعةً وفُضولا

واشْهَدي في الطُيورِ كرًّا وفرًّا
واسمعي في النجومِ قالًا وقيلا!

[٢] الخبب: طريقة عدو متسارع للخيل.

# بين الطُّيور

قـال نَـسـرٌ لآخَـرْ: «أَيُّ نَـسـرٍ
هـــــوَ هـــــذا؟
ومَـــــنْ رِفـــــاقُـــــهْ؟

* * *

إنْ يَكُنْ قـادمًـا إليـنـا لـخـيـرٍ
فـــــلـــــمـــــاذا
عـــــلا زُعـــــاقُـــــهْ؟

* * *

يا لهُ طائرًا بصورةِ شَيْطانٍ
يبثُّ اللهيبُ بركانَ صدرِهْ

أَهْوَ منّا؟ لا. لا. فلمْ أَرَ جَبَّارًا
كهذا في الجوِّ ما بين طَيرِهْ

إنَّ قلبي لَموجِسٌ منهُ شرًّا،
رُحْ بنا نَجضتلي حقيقةَ أَمرِهْ»

«آدميٌّ هذا — أَجابَ أَخوهُ —
جاءَ يَستعمرُ الأَثيرَ بأَسرِهِ

كُرَةُ الأرضِ عن مطامعِهِ ضاقتْ

فـحـطَّـتْ هـنـا مَـطـامـحُ فـكـرِهْ

نحنُ لمْ نَهْجُرِ البسيطةَ، إِلَّا
هَـربًـا مـنـه واجْـتـنـابًـا لـشـرِّهْ

قُمْ بنا نَحْشُدُ الطيورَ وننقضُّ
عليه، نُجزيه مِنْ مثلِ غدرِهْ!»

ودَوَتْ في الأَثيرِ صيحَةُ حربٍ
مـلأَتْـهُ بـنَـسـرهِ وبـصـقـرِهْ

هو حشدٌ أَثارَ ضربُ خَوافيهِ[1]
غبـارَ الـسـحـابِ يُـعْـمـي بـذَرِّهْ

وإذا بي ما بينَ أَجنحةٍ سودٍ
على الأُفقِ حجَّبتْ وجهَ بَدرِهْ

طـوَّقـتـنـي بـكـل فـاغـرِ شَـدْقٍ
صـامـدٍ لـي بِـمـخـلَـبـيْـهِ وظِـفـرِهْ!

«لا تـخـافـي يـا طـيرُ مـا أَنـا إِلَّا
شـاعـرٌ تَـطـربُ الـطـيـورُ لـشـعـرِهْ

زارَكِ اليومَ مُتعبًا يَنْشدُ الراحةَ
فـي هـدأَةِ الـسُـكـونِ وسـحـرِهْ

فـرَّ عـن أَرضِـهِ فـرارَكِ عـنـهـا
منْ أَذى أَهلها وتنكيل دهرِهْ!»

[1] الخوافي: رياش في جناح الطائر لا تظهر إلا إذا نشره، وذلك بخلاف القوادم التي تظل بادية للعيان عندما يطوي الطائر جناحه.

# رمزُ الألم

أُنظُريهِ يَمْشي وفي خَطَواتِهْ
نَـــــــــــــــــــــزَواتٌ
مـــــــــنَ الأَلـــــــــمْ

* * *

عاثرَ الجَدِّ،[١] جَدَّ تحدو بذاتِهْ
نَـــــــــزَعـــــــــاتٌ
إلـــــى الـــعـــــدمْ

* * *

غمرته الأحلامُ بالشَّفَقِ الوَرْديِّ
يُغريهِ بالمنى تَعْليلا
وتلاشَتْ حلمًا فحلمًا، إلى اللَّاشيءِ
تَمشي بهِ قليلًا قليلا

هوَ في مَيْعَةِ الشبابِ ولو حدَّقتِ
فيه أبصرتِ شيخًا هَزيلًا

[١] الجد: الحظ.

بـقَـوامٍ كـأَنَّ قـاصِـمَـةَ الـظَـهـرِ
أنـاخَـتْ عـلـيـهِ حِـمْـلًا ثـقـيـلَا

وجـبـيـنٍ أَلـقـتْ عـلـيـه شُـجـونُ
النفسِ ظِلًّا منَ العُبوسِ ظَليلا

فـهْـوَ لا يـعـرفُ الـتَـبـسُّـمَ إلَّا
عندما يستعيدُ حلمًا جميلًا!

أَلِفَ اليأْسَ قلبُهُ، فهْو واليأْسُ
يُـحـاكـي بُـثَـيـنَـةً وجـمـيـلا

وإذا الـيـأْسُ صَـدَّ عـنـه قـلـيـلا
راحَ يَـبـكـي عـلـى نَـواهُ طـويـلا!

وإذا مـا الـنـسـيـمُ مَـرَّ عـلـيـه
فـعـلـيـلٌ أَتَـى يَـعـودُ عـلـيـلا

حائرُ الطرفِ شاردُ الفكرِ يَحكلي
مُدْلجًا في الظلام ضَلَّ السبيلا

تـاهَ فـي عـالـمِ الـخـيـالِ، فـضـاعَـتْ
نـفـسُـهُ وهْـيَ تَـنـشُـدُ الـمـسـتـحـيـلا

حـوَّلَ الأرضَ عـالـمًـا عُـلـويًّـا
قـاطِـرًا منْ وحـولِـهـا سـلـسـبـيـلا

مـلأَ الـعـالَـم الـسـمـاويَّ شـدوًا
مُـنـزلًا مـنـه لـلـوَرى إنـجـيـلا

هـاكِ عـقـدَ الـنـجـومِ بـيـن يـديـهِ
صـارَ بـعـد انْـفـراطِـهِ إكـلـيـلا!

# قرب النُّجوم

وانْبرَتْ نجمةٌ لأُخرى تقولُ:
«مَـــــنْ يـــــحـــــومْ؟
مِـــنَ الـــبـــعـــيـــدْ؟

* * *

أَهْوَ نجمٌ مُذَنَّبٌ أَمْ دَخيلُ
فـــي الـــنـــجـــومْ؟
ومـــا يـــريـــدْ؟

* * *

هُوَ يَنقَضُّ كالصواعقِ، مُنطادًا[1]
إلينا، والهولُ مِلءُ وِشاحِهْ!

بينَ برقٍ من الشراراتِ ومَّاضٍ[2]
ورعدٍ مُلعلِعٍ في صِياحِهْ!

أُنظريه يَدنو ويدنو، فهل غَلْغَلَ

[1] منطاد إلينا: مهاجمنا من علٍ. مرتفعًا نحونا.
[2] وماض: لماع.

في جوِّنا بقصدِ اكتساحِهْ؟

يُنطِقُ الخوفُ كلَّ عَيٍّ وهذي
رِعشةُ النَّجمِ عجَّلتْ بافتِضاحِهْ!»

وإذا نجمةٌ تجيبُ: «وقاكِ البُعدُ
أُختي، شرَّ انطلاقِ جَناحِهْ!

هوَ تحتَ السَديمِ[3] أَعجزُ عن أَنْ
يَبلغَ النجمَ فوق متنِ رياحِهْ!

هوَ مخلوقُ عالمٍ إِسْمهُ الأَرضُ،
يُغطّي الشَّقاءُ كلَّ بِطاحِهْ

عالمٌ ما شِعارُهُ غيرَ أَنَّ الحَقَّ
للقوَّةِ التي في سِلاحِهْ

لا تخافي منه، وخلّيه يَعلو
فقريبًا يَهوي صريعَ كِفاحِهْ!»

إيهِ يا نَجمتي أَلمْ تعرفيني
شاعرًا يُنصتُ الدُّجَى لنُواحِهْ؟

كمْ ليالٍ في الروضِ أَحييتُها
أَبكي، وأَشكو إليكِ بين أَقاحِهْ

ساكبًا في الفؤادِ من طرفِكِ
السَيّالِ بالنورِ بَلْسَمًا لجراحِهْ

وسوادُ الظلامِ في قلمي حِبْرٌ
أُوشّي بهِ بياضَ صباحِهْ

سامَحَ اللهُ فيكِ قلبًا نَسِيًّا
هو في الكونِ مثلُ قلبِ ملاحِهْ!

[3] السديم: الضباب.

# أوراقٌ متناثرة

نجمةَ الليل، رحمةً، فضلوعي
مِـــــنْ شـــــجـــــونـــــي
تـــــــتـــــــمــــــزَّقْ

* * *

كَفْكِفي السَّيْلَ، إنَّه في دموعي
مِـــــنْ عـــــيـــــونـــــي
يَــــــتَــــــدَفَّـــــقْ

* * *

واذكُريني بين الكواكبِ وادْعي
لـي، عسـى يَهتدي إلـيَّ السَـلامُ

عشتُ بينَ المُنى، يُراودُ نفسي
خُـلَّـبٌ مِـنْ طـيـوفِـهـا وعَـقـامُ[1]

أقـتـفـيـهـا وفـي يـديَّ فـؤادي
ثـم أَلـوي وفـي يـديَّ حُـطـامُ!

---

[1] العَقام: أو العُقام، ما لا نفع به ولا ناتج عنه.

أيُّ حـلـمٍ سـبـكـتُـهُ ذهـبِـيًّـا
لـم تُـذِبْـه بـنـارهـا الأيـامُ

ورجـاءٍ حـبـكـتُـه مـن خـيـوطِ
النورِ، لم يَنْسدِلْ عليهِ ظلامٌ؟

أيُّ عـودٍ حـمـلـتُـهُ لـلـتَّـلَـهّـي
لـم تُـقـطِّـعْ أوتـارَه الآلامُ؟

ونـشـيـدٍ وقَّـعـتُـهُ لـلـتـأَسّـي
لـم يُـعـكِّـرهُ بـالأَنـيـنِ الـغـرامُ

أيُّ كأْسٍ قرَّبتُها من شِفاهي
لم تَحُلْ حَنْظَلًا عليها المُدامُ؟

وفـؤادٍ ذوَّبـتُ فـيـه فـؤادي
لم يَضِعْ عندَه لعهدي ذِمامُ؟[٢]

أَيُّ طيفٍ عانقتُهُ في مَنامي
لم يكَلِّلْه دمعُ عيني السِّجامُ؟[٣]

وهـنـاءٍ زرعـتُـهُ فـي ضـلـوعـي
لـم يـكُـنْ مـنـه لـلـذُّبـولِ طـعـامُ؟

لـيـتَ شـعـري، والـلـيـلُ يَـعـقُـبـهُ
الفجرُ، متى يعقُبُ البكاءَ ابتسامُ؟

ضـاعَ عمري سعيًا وراءَ رُسومٍ
خطَّطَتْها في الشاطئِ الأَقدامُ

عِشْتُ أَبني على الرمالِ وهلْ يَثْبُتُ
ركـنٌ، لـهُ الـرمـالُ دَعـامُ؟

[٢] الذمام: الحرمة.

[٣] الدمع السجام: السيّال.

# في عالم الأرواح

وسـرى فـي عـوالـمِ الأَرواحِ
مــــن قـــــدومــــي
شــــبــــهُ هـــمـــسِ

* * *

إذ تَنَسَّمْنَ مِن خفوقِ جَناحي
فــــي الـــسَـــديــــمِ
رِيـــــــحَ إنـــــسِ

* * *

فتأَلَّبْنَ حولَ جسمي جماعاتٍ
مـلأْنَ الـجـوَّ الـفـسـيـحَ دَوِيًّا

وإذا بـي أعـي هـنـالـكَ أَشـيـاءً
ولـمَّـا حـدَّقْـتُ لـم أَرَ شـيًّـا

فكأَني في الحُلم نشوانُ صاحٍ
تـتـوالـى رُؤَى الـخـيـالِ عـلـيًّا

ما لِعيني والنورُ شعَّ بقربي
لـم تُـمـيِّزْ إلَّا فـراغًـا خـلِـيًّا؟

طوَّقتنيِ الأَشباحُ، ها هي حامَتْ

ثـمَّ أهـوَتْ تَـرِفُّ بـيـنَ يـديَّـا
ولـهـا كاخْـتِلاجِ أَجنـحَـةِ النَـحلِ
أَزيــزٌ يَــطِــنُّ فـــي أُذْنَـــيَّـــا

إِنـها كاللُّـهاث نَفْحًـا ولَفْحًـا
وكمـوجِ الـشُـعـاعِ نَشـرًا وطَـيَّا
غَمرتْني بـالـغـيـمِ يَنضَـحُ طَلًّا
واحْتوتْني بـالـريـحِ تَنْشُرُ رَيَّا

هـي كـالـوهـمِ أَلْبسـتهُ خـيوطُ
الـفكرِ ثوبًـا منَ الـخيـالِ جَـليَّـا
لم يَزَلْ صوتُها إلى اليومِ في
أُذْني، وأَنفاسُها على شفَتيَّا

إِنَّما عندَ وصفِها خانني الفكرُ
وأَلـقـى عـلـى بـيـانـيَ عَـيَّـا[1]
يـا لـهُ عـالـمًـا هـنـاك بـعـيـدًا
قـرَّبـتُـه عـروسُ شـعـري إلـيَّـا

فتنبَّهتُ مِن ذُهولي وأَصغَيتُ
لـعـلّـي أَجْـلـو هـنـاكَ خَـفِـيَّـا
فسمعتُ الذي تُوَشْوِشُهُ الأَرواحُ
عــنِّــي، ومــا تُــفــكِّــر فِــيَّــا

[1] العي: العجز والكلال.

# حفنةٌ من تراب

قـال روحٌ: حَـذارِ يـا أَتـرابـي
أَبْـــــــعِـــــــــدوهُ
عَـــنِ الـــســـمـــاءْ

* * *

هُوَ في الأرضِ حَفنةٌ من تُرابِ
فـــــــأَبـــــــــوهُ
طـــيـــنٌ ومـــــاءْ؟

* * *

هوَ مِن نَفْخَةٍ كَفَتْ لتَجَلِّيهِ!
وتَـكـفـي بـذاتِـهـا لاحْـتـجـابِـهِ

وكِـمـا كـانَ أَصـلُـهُ مِـن تُـرابِ
الأَرضِ، يَغدو مصيرُه لترابِهْ

ليتَهُ عادَ للثرى مثلما جاءَ
نـقـيًّـا بـنـفـسِـهِ وإِهـابِـهْ[١]

---

[١] الإهاب: الجلد الظاهر، ويقصد به الجسد.

جاءَ والحسنُ والرُواءُ رفيقاهُ
وثوبُ العفافِ كلُّ ثِيابِهْ

وتَولَّى يقودُه الإثمُ والداءُ
إلى القبرِ في ربيعِ شبابِهْ

هُوَ يَحيا للشرِّ، فالشرُّ يحيا
أَبدًا، حيث حلَّ شؤْمُ رِكابِهْ

وهْوَ لا يَنفعُ البسيطةَ إلاَّ،
حين يَثوي في القبرِ بين رِحابِهْ

حينَ يَمْتصُّه الثرى فيُغَذِّي
منه، ما في الأَديمِ من أَعشابِهْ[٢]

يا لَعَمْري[٣] كلُّ النباتِ الذي في
الكونِ من زهرِهِ إلى لَبْلابِهْ[٤]

ليس إلاَّ عصيرَ أَجسامِ مَنْ
ماتوا فَزانوا الثرى بأَجملِ ما بِهْ!

كنَدَى الفجرِ سالَ فاشْتَفَّه التُربُ
فحالتْ وحلًا لآلي حَبابِهْ

بَخَّرَتْه ذُكاءُ[٥] فاسترجَعَتْهُ
صافيًا للأَثيرِ عينَ سَحابِهْ

فهْوَ بين السَحابِ ثانيةً قطرٌ
نقيٌّ يُحيي الثرى بانسِكابِهْ!

تلكَ حالُ الإنسانِ حيًّا وميتًا
ربَّ خيرٍ، أَلشرُّ من أَسبابِهْ!

---

[٢] الأديم: التراب.
[٣] يا لعمري: أقسم بديني.
[٤] اللبلاب: نوع من العشب الذي ينبت في الحقول.
[٥] ذُكاء: من أسماء الشمس.

# رُقِيٌّ كاذب

قـالَ مـا قـالـهُ، وفـرَّ لـفـورِهْ
يَـــــــتـــــــوَقَّـــــــى
تَـــــــقَـــــــرُّبـــــــي

* * *

فــإذا آخــرٌ يــقــولُ بــدَورِهْ:
قُـــــلـــــتَ حـــــقًّـــــا
بـــــمَـــــذْهَـــــبـــــي

* * *

أنـا عـن وصِـفِ شـرِّهِ عـاجـزٌ
واللهِ، مهما أَفَضْتُ في تَبْيانِهْ

مـا دَعَـوْهُ الإِنـسـانَ مـن أُنـسـهِ
لكنْ دعوهُ الإنسانَ من نِسيانِهْ

نسيَ الخيرَ حين أَوْغلَ في الشرِّ
فداسَ الضميرَ في عِصيانِهْ

ملأَتْ قلبَهُ الأفاعي فلا يُسمَعُ
غيرُ الفحيحِ في خَفَقانِهْ

حَسَدٌ ناهِشٌ بقيةَ ما في

نـفـسـهِ مـن إبـائـهِ وحَـنـانِـهْ

طَـمَـعٌ يَـقـذِفُ الـلـهـيـبَ حـوالَـيْـهِ
فـيُـعـمـي عـيـونَـهُ بـدُخـانِـهْ

وأَنـانـيَّـةٌ تُـحِـلُّ لـه الـقَـتـلَ
لـتـحـقـيـقِ غـايـةٍ فـي كِـيـانِـهْ

أُعْطيَ النُطقَ والحِجى ميزةً كي
يَرتَقي في الوجودِ عن حيوانِهْ

فـإِذا بـالأَذى ولـيـدُ حِـجـاهُ
وإِذا بـالـشـرورِ بـنـتُ لِـسـانِـهْ

عاشَ في أَرضِهِ فحالتْ جَحيمًا
فأَتى الخُلدَ عائثًا في جِنانِهْ

زجَّ بالعلمِ في الفضاءِ طيورًا
مـن جـمـادٍ، يـديـرهـا بـبـنـانِـهْ

مـا بـنـاهـا إِلَّا لـهـدمِ الـمـبـانـي
ولـسـفـكِ الـدمـاءِ فـي طَـيـرانِـهْ

لـيـتَـهُ لـم يَـكُـنْ ذكـيًّـا فـكـلُّ
الويلِ في الكونِ من نُهى إِنسانِهْ!

لـيـتَ عُـمـرانَـهُ تـأَخَّـر أَجـيـالًا
فـكـلُّ الـخَـرابِ فـي عُـمـرانِـهْ!

# كفّارة الشّاعر

وتَجلَّتْ روحٌ على القُربِ منّي
رَمَقَتْني
بلا غَضَبْ

* * *

خِلْتُها أَقبلتْ تدافعُ عَنّي
صحَّ ظنّي
ولا عَجَبْ!

* * *

هيَ روحي جاءَتْ تُخلِّصُني من
غضبِ العالمِ الفخورِ بشمسِهْ

طَوَّقَتْني بكلِّ عطفٍ وصاحتْ:
أَخَواتي رِفْقًا بهِ وبِبُؤْسِهْ

هو بالرغمِ منه في عالمِ الأرضِ
وإِنْ كانَ تَزَيَّا بِزِيِّ أَبناءِ جِنسِهْ!

سكنَ الأرضَ مُرغمًا وهْوَ لَوْ
خُيِّرَ، ما اختارَ غيرَ تُربةِ رمسِهْ

إِنَّ بين السريرِ والنعشِ خُطْواتٍ

دَعَوْها الوجودَ وهْيَ بعكسِهْ

عمرُهُ ليسَ غيرَ قَطرةِ حبرٍ
وَمَضَتْ مِن يَراعِهِ فوقَ طِرْسِهْ

يَتَلاشى كالشمعِ، كي يُعطيَ النورَ،
على هيكَلِ الخُلودِ وقُدسِهْ

غَدُهُ مثلُ يومِهِ تَلعبُ الأَقدارُ
فيه، ويومُهُ مثلُ أَمسِهْ

غَسَلتْ عينُه، بما سكبتهُ
مِن نَدى الدمعِ، كلَّ أَدرانِ نفسِهْ

والْتَظى قلبُه فطَهَّرَ بالآلامِ
ما دنَّستْهُ شهوةُ حِسِّهْ

جاءَ مِن أَرضِهِ يُفتِّشُ عنّي
يائسًا فاخْشَعوا احْترامًا ليأسِهْ

ودَعُوهُ معي ففي قُبُلاتي
شَهدُ حُبٍّ يُنْسيهِ عَلْقَمَ كأسِهْ!»

# على بساط الرِّيح

ووَقـفـنـا مـعًـا بـقـلـبِ الـسَـمـاءِ
نَـــــتـــــمــــــلَّــــــى
مِـــــنَ الْــــقُــــبَــــلْ

* * *

مـا أَحـبَّ الـلـقـاءَ بـعـدَ الـتَـنـائـي
فـــــهْـــــوَ أحــــلـــــى
مِـــــنَ الْأَمَــــــلْ

* * *

مـوقِـفٌ لا يُـمَـثِّـلُ الـفـكـرُ، أَبْـهـى
مـنـه، فـي نَـوْمِـهِ وفـي يـقَـظـاتِـهْ

إذْ جَلَسْنا على بِساطٍ مِنَ السُحْبِ،
يُـفـوحُ الـغَـرامُ مـن جَـنَـبـاتِـهْ

تـحـتَ جـوٍّ كـأنَّـه سِـنَـةُ الـنَـومِ،[1]
تـرفُّ الأحـلامُ فـي طَـبـقـاتِـهْ

---

[1] سنة النوم: النعاس.

والنسيمُ العليلُ فوقَ لظى أنفاسِنا،
ساكبٌ نَدى نَفَثاتِهْ

وعَذارى الأَرواحِ تُنْشِدُ مِن بُعْدٍ
بصوتٍ، أَللهُ في نَبراتِهْ!

رافَقَتْهُ قيثارةُ الحُبِّ فانْسَلَّ
أنينُ الأَوتارِ في نَغَماتِهْ

فانْتَقلنا إلى فضاءٍ من البُحرانِ
هاروتُ[2] فيه بعضُ حُماتِهْ

وملأْنا مِن لَفح[3] قُبْلاتِنا الجوَّ،
فعادتْ بالنَفْحِ مِن قْبُلاتِهْ

ثمَّ قُمنا نُجيلُ في الكونِ، أَبصارًا
أَرَتْنا منه حقيقةَ ذاتِهْ

نَنظُرُ الناسَ مِن علٍ مثلَما تَنظرُ
نَمْلًا يَمْشي إلى غَزَواتِهْ

ونَرى الطَودَ في السهولِ، كما تُبْصِرُ
فوقَ الترابِ ظلَّ حَصاتِهْ

ونَرى الموجَ في الخضمِّ، كما تَلمَحُ
جَوًّا، والسُحْبُ في مِرآتِهْ!

---

[2] هاروت وماروت: ملاكان ساحران يفتنان البشر.

[3] اللفح: صفة الريح الحارة، والنفح صفة الريح الباردة.

# على الأرض

تلكَ بضعٌ مِنَ الدَقائقِ مرَّتْ
في خِضَمٍّ
مِنَ الخلودْ

* * *

هيَ مثلُ الأَحلامِ زارَتْ وفَرَّتْ
أَيُّ حُلم
تُرى يَعودْ؟

* * *

وإذا بي أَهوي إلى الأَرضِ وحدي
بعدَ حريَّتي أُكابِدُ رِقَّا

تركَتْني روحي وعادتْ لمأْواها
تشُقُّ الشعاعَ في الجوِّ شَقَّا

فرأيتُ اليراعَ قُربي يُؤَاسيني،
ويَبكي لِما لَقيتُ وأَلقى!

يا يَراعي ما زِلتَ خيرَ صَديقٍ
لي — منذ امتزَجْتَ بي — وسَتَبقى

باسمًا من سَعادتي حينَ أَهْنا

باكيًا مِن تَعاستي حينَ أَشْقى!

كمْ حبيبٍ سَلَا وعهدُكَ باقٍ
فَهْوَ أَوْفى مِنْ كُلِّ عهدٍ وأَبقى

أنتَ رَغمَ الجحودِ خلٌّ وَفِيٌّ
حَوَّلَ المستحيلَ غولًا وعَنْقا[1]

رُبَّ دمعٍ كَفْكفتَهُ مِنْ عُيوني
سالَ حِبرًا في الطِرْسِ يَخفُقُ خُفْقا

وعذابٍ نزعتَهُ مِن ضُلوعي
أَجَّ بينَ السُطورِ يُحْرِقُ حَرْقا

وزَفيرٍ حَوَّلتَه لصَريرٍ
مَلأَ الخافِقَيْنِ غَرْبًا وشَرْقا

يا يَراعي رافَقْتَ كلَّ حَياتي
فاروِ عنّي ما كانَ حقًّا وصِدْقا

أنا لم أَلْقَ مثلَ صَمتِكَ صَمْتًا
حَوَّلَتْهُ عَرائسُ الشِعرِ نُطْقًا! ...

[1] يقول المثل العربي القديم: «المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخل الوفي». ومعنى البيت أن المستحيلات غدت اثنين بدلًا من ثلاثة بثبوت كون اليراع هو الخل الوفي الموجود في نظر الشاعر.